

أشكال التضامن من المدينة إلى القرية كبراديجم لفهم البنية الثقافية للمجتمع.

Forms of solidarity from the city to the village As a paradigm to understand the cultural structure of society

محمد زياتي⁽¹⁾

ملخص

يعد الحديث عن أشكال التضامن الاجتماعي ومسألة الاهتمام بها، من صميم السوسيولوجيا المعاصرة، حيث حظيت باهتمام بارز عند الرواد الأوائل في علم الاجتماع، ويرجع الاهتمام المتزايد إلى التحولات والتغيرات الاجتماعية الكبرى التي تعرضت لها المجتمعات التقليدية. في هذا السياق، سنتطرق إلى تاريخ وخصائص الأشكال التضامنية، وأوجه الاختلاف بينها في صيرورة انتقالها من القرية إلى المدينة، ونسائل هذه الصيرورة الانتقالية عن مدى وفائها لمبدأي التضامن والتعاون، كفعلين تقليديين مترسخين في الثقافة المغربية وبنياتها التقليدية.

الكلمات المفتاحية: أشكال التضامن – المدينة. القرية. التعاون.

Abstract

Talking about the forms of social solidarity and the issue of attention to them, like other social phenomena, has received prominent attention among the first pioneers in sociology. It is due to the social changes experienced by traditional societies. In this context, it is necessary to ask about the differences between the forms of solidarity in the process of their transition from the village to the city, and what is the history, characteristics, determinants and stakes of these forms ?

Keywords: forms of social solidarity, the city, the village

(1) طالب باحث سلك الدكتوراه، جامعة محمد الأول، أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، الأكاديمية الجهوية للشرق

إن تحليل أشكال التضامن الاجتماعي من أهم المواضيع التي استأثرت باهتمام الرواد الأوائل للعلوم الاجتماعية (الأنثروبولوجيا، السوسيولوجيا)؛ شأنها في ذلك شأن باقي الموضوعات الاجتماعية (التدين، الرموز، القرابة، الطقوس)، ذلك أنها من المداخل الأساس لفهم سيرورة الاندماج الاجتماعي، وأشكال إنتاج وإعادة إنتاج التماسك الاجتماعي. وإذا كان المجتمع المغربي منذ الاستعمار، قد عرف سيرورة تحضر قسرية دمرت البنى التقليدية للتضامن، فإن لهذا الامر الأثر البارز على أشكال التضامن الاجتماعي، ذلك أن اشكال التضامن الاجتماعي العفوية القديمة (التوزيع، اجماعة، الحنطة...) لم تعد قادرة على الوفاء لأدوارها التقليدية.

أمام سيرورة هذا التحضر (المدينة) أصبح أفراد المجتمع مجبرين على التعايش مع أنظمة اقتصادية واجتماعية وسياسية وقانونية أكثر تعقيدا، مما ألزمهم بخلق تنظيمات اجتماعية ومهنية تستجيب لهذا التعقيد. من هنا برزت التعاونية، الجمعية، الشركة، ...، باعتبارها تنظيمات ستضطلع، شيئا فشيئا، بمهمة تنظيم التضامن الاجتماعي، وتأطيره ضمن ثقافة عصرية جديدة أساسها القانون، والمصلحة، والدولة ...

غير أن الحديث عن الانتقال من التقليدي إلى العصري لا يعني القطع النهائي مع الشكل القديم كلية، بقدر ما يعني السماح -على الأقل في التجربة المغربية- بظهور شكل جديد لا هو تقليدي كلية ولا هو عصري كلية، يمكن أن يوصف بالشكل الهجين، فهو عصري من حيث الشكل (طبيعة التنظيم الادارية والقانونية)، وتقليدي من حيث المضمون (طبيعة العلاقات التي تهندس حياة التنظيم وتؤطره)، وهو ما ينسجم مع أطروحة "بول باسكون" بالمجتمع المركب"، مجتمع لا يعرف هيمنة نموذج تضامني واحد سواء أكان دينيا، أم جغرافيا، أم اقتصاديا، أم قريبا، أم ايديولوجيا...

انطلاقا من التركيب/الهجانة، سنتساءل في هذه الورقة عن صيرورة انتقال الأشكال التضامنية من المدينة إلى القرية، وذلك من خلال تحديد تاريخ وخصائص، ومحددات، ورهانات هذه الاشكال، وعن مدى استطاعة الأنموذج الجديد القطع مع الاشكال القديمة كلية؟

للإجابة عن هذه الإشكالات، لابد لنا من الحديث عن مفهوم المدينة في المتن السوسيولوجي، قبل الخوض في تاريخ وخصائص ومحددات ورهانات الأشكال التضامنية، وأوجه الاختلاف بينها في صيرورة

انتقالها من البادية إلى المدينة، ومدى وفائها لمبدأي التضامن والتعاون، كفعلين تقليديين مترسخين في الثقافة المغربية وبنياتها التقليدية.

1. مفهوم المدينة رؤى نظرية:

تحضرنا في هذا الباب مقولة شهيرة للفيلسوف فولتير: " قبل أن نتحدث معي حدد مصطلحاتك" ⁽²⁾ ومغزى هذه المقولة، أن تحديد المصطلحات هو تحديد للأطر الفكرية، وكذا المرجعية التي ينهل منها المتحدث، "فالمصطلح في العلوم الاجتماعية حمّال أوجه، ولا ينجو من تأثيرات إيديولوجية وذاتية، تنعكس على رؤية الباحث وتفسيره للمفاهيم المستعملة" ⁽³⁾، كما أن عملية ضبطها/ تحديدها تصبح ضرورة منهجية، خصوصا وأن "تحديد المفاهيم في البحوث الاجتماعية له دور كبير في توضيح محتوى الدراسة، وفي إيصال الباحث للمقصد الذي يريد الوصول إليه من هاته الدراسة" ⁽⁴⁾، وتسمح للقارئ أيضا منذ البداية أن "يعرف ماذا يقصد الباحث بهذا المفهوم أو ذاك، أو ما هي القضية محل النقاش" ⁽⁵⁾. ومن هذا المنطلق ووعيا بما يكتسيه تحديد المفاهيم من أهمية في البحث الاجتماعي عامة، سنعمل على تحديد مفهوم المدينة، في الحقل السوسيولوجي.

1.1- التحديد السوسيولوجي للمدينة:

تعتبر المدينة أعقد نمط عمراني شيدته عقلية الإنسان، بما تحمله من خصائص ومميزات، تحدد هويتها التاريخية وتراثها الاجتماعي والثقافي" ⁽⁶⁾. إن هذا التعريف يحدده من خلاله الجانب العمراني والهندسي للمدينة، وهو ما ذهب إليه والتر بور "Walter Bor" حيث يرى أن "المدينة هي مكان يعيش فيه

(2) ابراهيم أبراش، الأصولية والعلمانية: جدل الفكر والواقع، مقال الكتروني، تاريخ الاطلاع 2022/11/14

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97137>

(3) نفس المرجع السابق

(4) البستاني فؤاد افرام وآخرون، منجد الطلاب، دار الشروق، بيروت ط22، 1978، ص: 330

(5) ابراهيم أبراش، الأصولية والعلمانية. مرجع سابق.

(6) Louis Wirth, Le phénomène urbain comme mode de vie, L'Ecole de Chicago, 1938, p : 253-258

الناس ويعملون ويمارسون هوايتهم الرياضية، ويوجد بالمدينة المساكن وأماكن العمل والمحلات التجارية والمدارس والمسارح وكافة وسائل الاتصال الكبرى⁽⁷⁾.

ومن بين التعاريف التي ركزت على الجانب الاجتماعي والتفاعل بين الأنساق الاجتماعية داخل المدينة، نجد التعريفات الآتية:

2.1- تعريف مدرسة شيكاغو:

سنبرز في هذا الجانب، أهم التعريفات التي عرضها رواد مدرسة شيكاغو للمدينة، حيث سنركز على كل من لويس وورث (Louis Worth) وروبرت بارك (Robert E Park).

أ. لويس وورث:

انطلق لويس وورث (Louis Worth) في تحديده للمدينة، من التحولات الدالة التي شهدتها مدينة شيكاغو خلال القرن 20، فضلا عن التنوع الاثني والثقافي التي تميزت به. فالمدينة عنده "نمط من أنماط التباين السكاني، فضلا عن أن نمو المدينة حسبه، يمكن النظر إليه كعملية تاريخية مستمرة، باعتبارها مكان إقامة دائمة للسكان المتباينين"⁽⁸⁾.

كما اعتبر التحضر أسلوب حياة وليس تكيفا مع البيئة أو الطبيعة، لأن الإنسان لا يتكيف مع الطبيعة كما يفعل الحيوان، إنما يبدع المدينة، أي: أن لكل مدينة طابعها، فالتمدن مسألة إبداع وليس تكيف مع المجال البيئي أو الطبيعي، كما يرى بأنه "لا يمكن فهم المدينة إلا انطلاقا من مجموعة من المراكز كأماكن الإقامة وأماكن الشغل ثم المصالح الاقتصادية للفرد والجماعة كالمسوق على سبيل المثال. تمثل المدينة، حسب ويرث، موقعا للسيطرة الاقتصادية."⁽⁹⁾

لقد أكد "وورث" أن التحضر يمثل شكلا من أشكال الوجود الاجتماعي لا يقتصر على توزيع الجماعات في أماكن إقامتها أو عملها أو مصالحها الاقتصادية، فالمدينة في جوهرها تعد مركزا للسيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية، ومحور تدور حوله جماعات وأنشطة متنوعة دون أن ترتبط فيما بينها

(7) محمد عباس إبراهيم "التنمية والعشوائيات الحضرية"، دار المعرفة الجامعية (اتجاهات نظرية وبحوثية تطبيقية)، الناشر دار المعرفة الجامعية سنة 2000، ص، 22

(8) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 2009، ص، 76.

(9) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، الطبعة الرابعة ترجمة الدكتور فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، فصل المدن والفضاءات الحضرية ص. 600

بصلات أو علاقات شخصية أو اجتماعية حميمة، وقد تتكون مثل هذه العلاقات في أوساط بعض الجماعات الاثنية أو المهاجرة غير أنها سرعان ما تبدأ بالتفكك والانحلال مع تزايد الكثافة والتعقيد في حياة المدينة"⁽¹⁰⁾.

ب. روبرت بارك:

يعتبر روبرت بارك (Robert E. Park) أن المدينة "اتجاه عقلي لم تنجم فقط عن تخطيط هندسي أو معماري، بل هي أيضا نتيجة لتفاعل ثقافات الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم المتوارثة، فهي مكان طبيعي للإنسان المتمدن"⁽¹¹⁾، لهذا يعتبرها منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي كما تتميز بوجود مستويين للتنظيم الاجتماعي:

(1) مستوى البنية التحليلية للمدينة؛

(2) المستوى الثقافي السائد.

يضيف "بارك" "ان مميزات المدينة اختفاء الروابط العاطفية التقليدية فيها"⁽¹²⁾، مما أدى إلى ظهور روابط اجتماعية جديدة، تقوم أساسا على المصلحة والفردانية، الأمر الذي يوضح تأثره بأفكار دوركايم عن التضامن القائم على التشابه، والذي استبدل بتضامن عضوي، يقوم على الاعتماد المتبادل بين أجزاء متميزة.

ج. ماكس فيبر:

يعتبر ماكس فيبر (Max weber) المدينة شكلا اجتماعيا يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب وطرق الحياة، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغيير الاجتماعي التاريخي، وقد بنى ماكس فيبر تصوره للمدينة وفق عدة مبادئ التي قد تم تدعيمها وإيجاد

⁽¹⁰⁾ Robert E. Park and Others (1992), The City, The University of Chicago press, Chicago and London.9

<http://www.esperdy.net/wp-content/uploads/2009/09/Park-The-City.pdf>. A voir en date 10/11/2022

⁽¹¹⁾ Nicholas, timasheff.s, sociology theory: its nature and growth, randm hanse,) new. York, 3 Edition, (1967), p, 213.

⁽¹²⁾ Ibid. p. 214

تطبيقات أخرى لها حسب عبد الرحمان المالكي، انطلاقاً من رؤية تاريخية مقارنة، تبدأ من مدن مصر وما قبل الميلاد إلى المدينة اليونانية و الرومانية والإسلامية والأسبوية والأوربية القرسطوية والروسية⁽¹³⁾، كما نجد عند ماكس فيبر، في تناوله لمفهوم المدينة، نفيًا قاطعاً للنموذج المثالي للمدينة على مر التاريخ مستثنيًا في ذلك أوروبا الغربية.

نستشف من كلام "فيبر" أنه لا يوجد تعريف واحد للمدينة. وعندما أراد صياغة تعريف نموذجي للمدينة قال: "يمكننا تعريف المدينة بطرائق متعددة، وكل التعاريف تشترك في نقطة واحدة وهي أن المدينة لا تكمن في سكن واحد أو سكنات متعددة منتشرة بشكل مبعثر، إنها تتشكل على كل حال من السكن المتجمع (ولو نسبياً)، وفي المدن تبنى الدور بالقرب من بعضها البعض، والقاعدة العامة هي أن تبنى حائطاً لحائط، إن التصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة"⁽¹⁴⁾، وعليه نجد ماكس فيبر حدد المدينة، انطلاقاً من الجوانب الآتية:

• الجانب الاقتصادي:

أول ما يركز عليه فيبر في تحديده للمدينة، هو انطلاقه من الجانب الاقتصادي، المرتبط بحجمها السكاني، إلا أنه يضيف بأن الحجم وحده غير كافٍ، على اعتبار وجود قرى في روسيا مثلاً تحتوي على آلاف السكان، ولا ينطبق عليها مفهوم المدينة، بينما مدن لا يسكنها إلا بضعة مئات، وتشكل مدناً حسب رأيه، فالمدينة في نظره مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها تعتبر نسبياً مكان إقامة مغلق، فضلاً عن أن نوع الأنشطة في المدينة يختلف عن القرية، حيث في الأولى تكثر التجارة والصناعة، بينما في القرى تكون الأعمال الزراعية.

فالمدينة عند "فيبر" هي فضاء إقامة، يعيش السكان فيها أساساً على التبادل والتجارة، أكثر مما يعيشون على الزراعة، كما يميز "فيبر" بين مدن المستهلكين. حيث يركز الاقتصاد على مداخيل مالية وسياسية (ربح ومعاشات). ومدن المنتجين. حيث المداخيل تركز على الصناعات.

• الجانب الأمني:

(13) عبد الرحمان المالكي، "مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة"، الناشر إفريقيا الشرق المغرب، سنة 2016،

ص 27

(14) تعريف ماكس فيبر، وورد في كتاب عبد الرحمان المالكي، مدرّة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، ص 29.

حسب فيبر لا قيمة لوسط اقتصادي ملائم بدون أمن مقدم من المدينة، حيث تدينُ المدينة الغربية في تكوينها إلى النموذج المثل للمدينة . القلعة. هذه المدينة كانت أو احتوت قصرا منيعا يمتلكه ملك، نبلاء أو فدرالية إقطاعيين، بالنسبة للحاكم العسكري للمدينة، كان السكان والبرجوازيون ملزمين بتقديم نفقات عسكرية محددة، خصوصا صيانة القلعة، وتطورت حينها طبقة صناع من خلال خلق خدمات لمنزل الإقطاعي بداية، وفيما بعد لصناع آخرين، وأخيرا لمدن وقلاع أخرى.

• جانب الحرية:

يبرز فيبر هنا، أن المدينة تتميز بطابع الحرية، والذي توفره لساكنتها، على عكس القرية، "فهواء المدينة يجعل المرء حرا"⁽¹⁵⁾ كما يذكر أيضا بكيفية البيع الحر للملكية في المدينة البورجوازية، خلاف الأراضي الإقطاعية القروية، فضلا عن تأكيده أن المدينة في طور التكوين تتميز بالحرية.

• جانب الإخاء:

يعتبر جانب الإخاء كمحدد للمدينة النموذج المثل للجماعة، ويتضمن حسب فيبر خمس خصائص: تحصينات، سوق، محكمة، قانون خاص على الأقل جزئيا، أشكال جموعية، واستقلالية جزئية، تمكن جميعها من إدارة ذاتية (سلطة إدارية أو قضائية خاصة) من طرف السلطات العمومية بمشاركة المواطنين، كما أن بدايات الجماعة المستقلة سياسيا استندت إلى الإخاء الجماعي، من خلال أداء اليمين من قبل سكان المدينة تبعا لروابط عقائدية أو طبقية.

د. إميل دوركايم:

يرى "إميل دوركايم" (Emile Durkheim) أن المدينة يطغى عليها التضامن العضوي، القائم بين مختلف أفرادها، إذ يؤدي إلى زيادة تقسيم العمل وتطوره بصورة أكثر تخصصا، حتى يتلاءم مع حقيقة المجتمع الصناعي الحديث، والتغيرات التي تحدث في جميع البناءات التنظيمية الاجتماعية المختلفة، نظراً للعوامل الآتية:

1. زيادة السكان وكثافتهم؛

⁽¹⁵⁾ Max Weber, La Ville, trad, franc, Aurélien Berlan, Paris, la Découverte, 2014, p, 88.

2. تكوين المدن الحديثة وزيادة التحضر؛

3. التطور السريع في وسائل النقل والمواصلات.

وفضلا عن ذلك، فقد حدد "دوركايم" وجود بعض العوامل الثانوية الأخرى المساعدة على زيادة تقسيم العمل والتخصص وهي: 1. الهجرة. 2. الحراك الاجتماعي. 3. البيئة الاجتماعية⁽¹⁶⁾.

هـ. جورج زميل:

لقد انتقل بنا "جورج زميل" (Georg Simmel) في دراسته من محاولة تعريف المدينة إلى تحليلها، ومن دراسة مدينة الماضي إلى دراسة مدينة الحاضر، وخاصة المدينة الكبرى مثل برلين أو باريس أو لندن... إلخ. لقد أثر من جانبه على الدراسات الحضرية تأثيرا واسعا، من خلال ما قدمه من أعمال ترتبط بالدراسة الحضرية، حيث يذكر أن المشاكل العميقة للحياة تنبع من مطلب الفرد أن "يحافظ على استقلاله وفرديته ووجوده في وجه القوى الاجتماعية الهائلة وللتراث التاريخي والثقافة الخارجية، مما دفع به البحث في الأسس السيكولوجية التي تكمن وراء الطابع الميتروبوليس للحياة، فيدرس التوترات والعواطف ونوع الذكاء الذي يجب أن يتمتع به الأفراد الذين ينجحون في الحياة في مثل هذا النوع من المدن الكبرى"⁽¹⁷⁾.

إن "زميل" يرى أن الآثار المتعارضة للمدينة الكبيرة تؤثر على شخصية الحياة الحضرية أو الحياة المدنية بلغة العصر، و تمنح في الوقت نفسه هامشا من الحرية والإقصاء، على اعتبار أن المواطن يوجد في ملتقى العديد من الدوائر الاجتماعية، حيث ينفلت أكثر فأكثر من مراقبة الآخرين ليعيش حياة أكثر فردية وسرية، متجاوزا بذلك نظرة التقديس للحياة القروية كما هو الشأن عند الفرنسيين، لقد إنطلق زميل في دراساته "عن المدينة الكبرى متحررا من مثل هذه النظرة، بل سيكون أول من سيجعل من المدينة الكبرى الحديثة موضوعا للدراسة، وسيعتبرها المجال الذي يستطيع فيه المجتمع التعبير عن نفسه بطريقة أشمل، والذي منه يمكن أن نستشف كل المنطق الذي فيه ومن خلاله يتحرك هذا المجتمع"⁽¹⁸⁾.

(16) عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع الصناعي: النشأة والتطورات الحديثة، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 1999، ص، 211.

(17) محمد عاطف غيث: مرجع سابق، ص 129

(18) عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، نفس المرجع السابق، ص 41

نستخلص من جل التعريفات السوسولوجية السابقة، أن المدينة ظاهرة اجتماعية تتداخل فيها مجموعة من النظم والأنساق الاجتماعية داخل تنظيم إيكولوجي معين، واعتبارها كذلك ليس بالأمر الجزاف، بل راجع إلى العلاقة الترابطية بينها وبين التنظيم الاجتماعي الوظيفي المتعدد الذي يأخذ أشكالا مختلفة من الأنماط المعيشية، تتراوح بين التقليدية والمعاصرة، وتتجلى أساسا في طبيعة ممارسة وتوزيع الأفراد ونشاطاتهم الحياتية، على امتداد المكان الذي يشغلونه.

إنه "لا يمكن أن نجرد المدينة من مفهومها السوسولوجي ولا من عناصرها الاجتماعية، لأنها في الحقيقة هي امتداد للحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها سواء الديمغرافية أو الجغرافية أو الاقتصادية أو السياسية.... إلخ" (19)، كما لا يمكن أن نتخيل مدينة بدون جماعات أو علاقات أو تنظيمات مهنية (تعاونيات، تعااضديات، جمعيات....)، فهي أساسا تشكل أنساقا اجتماعية مختلفة، تكون بدورها شبكة من العلاقات الاجتماعية اللامتناهية تجعلها تتميز عن القرية بعدة خصائص وسمات، تجعل طريقة الحياة فيها تأخذ طابعا مغايرا لطريقة الحياة القروية، والتي قد تشمل مختلف البناءات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي تفرض نوعا خاصا من الديناميكية الاجتماعية.

لقد أصبح من الازم على أفراد المدينة تكوين شبكات ومؤسسات اجتماعية ذات طابع تضامني تعاوني، يوازي مؤسسات الدولة، فسعوا إلى صياغة نماذج وأساليب حياتية تتماشى مع الطابع الاجتماعي والبنية الأيكولوجية والاقتصادية والعمرانية للمدينة، وكذا طبيعة نظمها السوسيوثقافية التي قد تتعدد في إطار خصوصية الأنماط المعيشية داخلها، فالحياة في المدينة رغم طابعها المحلي الخاص بها بلغت بشكل عام ذروة التعقد والتحول، الشيء الذي جعل الأشكال التضامنية فيها تأخذ طابعا حضريا يواكب خصوصية البنيات والمؤسسات ذات التكوين الحضري، وطبيعة البيئة الاجتماعية الحضرية التي تنتهي إليها في قالبها الحضري، الذي يميزها عن حالها بالقرى والبوادي.

(19) هادفي سمية، سوسولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،

المجلد 6، عدد 17، ص 172، تم الاطلاع بتاريخ 2022/11/14

الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/37283>

2. السياق المجتمعي للأشكال التضامنية:

إن الحديث عن اختلاف أشكال التعاون والتضامن بين المدينة والقرية، لا يكتمل إلا بمعرفة السياق التاريخي لبروز التضامن والتعاون باعتبارهما شكلين من أشكال الاقتصاد، وهذا لا يستقيم إلى بالرجوع وإعادة قراءة أنماط الاشتغال في المجتمعات القديمة، إذ نجد في العهود القديمة والعصر الوسيط أنماطا تقليدية متعددة للنشاط التعاوني، في كل المجتمعات الإنسانية بما في ذلك المجتمع المغربي الذي كانت فيه "المعونة" أو "التوزيع" و "الجُماعة".

لقد مثلت هذه الانماط سمة العمل التعاوني في بلدان شمال إفريقيا القائم على الانتماء العشائري، والمرتبط بالقيم الدينية والطقوس الإثنية للمجتمعات، خاصة في مواسم الحرث والحصاد وجني الزيتون وغيرها من الأشغال والأعمال التضامنية، فغدت بمثابة أشكال عفوية تلقائية تستمد شرعيتها من النظم الاجتماعية التي تؤطرها وتنظمها، والتي تقوم على مساعدة النفس والإيثار وتلتزم بالتعاون الاختياري للأفراد.

إن التحولات التي عرفها العالم والأزمات والمشاكل التي سببتها الحروب وكوارث العصر الحديث، أدت إلى بروز القطاع التعاوني وتناميهِ بولادة الثورة الصناعية والتحويلات التي أحدثتها على مستوى التركيبة الاجتماعية، إذ انتقلنا من نظام إنتاج زراعي إقطاعي، إلى نظام إنتاج صناعي رأسمالي، خلق طبقة اجتماعية جديدة تمثلت في طبقة العمال التي كان عليها أن تواجه أوضاعا ستمها الأساس الفقر والهشاشة بفعل الاستغلال الفاحش لقوة عملها، وأزمات دورية بات يشهدها النظام الرأسمالي.

إلى جانب ذلك أسهم اندلاع الثورات الاجتماعية سنة 1848*، في نشأة وقيام منظومة الاقتصاد بالمفهوم الاجتماعي والتضامني، خاصة في كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر وغيرها من البلدان الأوروبية، بالإضافة إلى قيام الحرب العالمية الأولى وما أدت إليه من نتائج واختلالات اجتماعية، أسهمت في تعزيز دور التعاضديات والجمعيات وأشكال التضامن، إذ رافقت هذه المرحلة تجارب ذات طابع يحمل

* في عام 1848 اندلعت في قارة أوروبا ثورات شعبية هائلة. وأطلق المؤرخون على هذه الثورات اسم ثورات ربيع الشعوب الأوروبية. وقد كانت هذه الثورات تحمل أهدافا نبيلة وقامت بها الشعوب الأوروبية لأنها لم تكن راضية عن الوضع العام في ذلك الوقت. فقد أصابت الدول الأوروبية في تلك الفترة حالة من الجمود السياسي والاجتماعي بينما مرحلة الثورة الصناعية كانت قد بدأت بالفعل. وقد شملت هذه الثورات 50 بلدا مختلفا دون تنسيق بينها. فقد انتشرت الثورات في هذه البلاد كما تنتشر النار في الهشيم من فرنسا إلى ألمانيا إلى المجر إلى الدنمارك إلى بولندا حتى أن روح هذه الثورة قد وصلت إلى البرازيل في العالم الجديد.

القيم الاشتراكية في القرن الماضي، وقد وفرت كلّها مناخا ملائما لتطوير منظومة الاقتصاد الاجتماعي والتضامني على المستوى المفهومي، المؤسساتي والتشريعي.

كما أسهمت أزمات الرأسمالية العالمية في تفاقم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، والبيئية والمناخية، في مجتمعاتنا بشكل مأساوي من خلال مخلفاتها في الأوساط الاجتماعية، وتأثيرها المباشر في الحقل الاقتصادي، مما نتج عنه ارتفاع حاد في معدلات البطالة، خاصة لدى الشباب المتعلم، وزعزعة المؤسسات الصغرى والمتوسطة، والتوسع الخطير للاقتصاد الموازي، والتهميش وتزايد الفقر والإقصاء لدى الفئات الكادحة، وتدهور الظروف المعيشية للطبقة الوسطى التي باتت رقعتها الاجتماعية تتقلص يوما بعد يوم، مما نتج عنه ميدانيا تشكل الجمعيات التعاونية وتعاضديات الإنتاج والاستهلاك، من أجل تخفيف الأضرار الاجتماعية التي لحقت بالفئات الكادحة، وذلك من خلال توفير ما تحتاجه من غذاء وعلاج وسكن وغيرها من الحاجيات الأساس لإعادة إنتاج قوة عملها بأسعار مناسبة.

لقد كان من حسنات وإيجابيات هذه الأزمات الكشف عن فاعل جديد في المجال الاقتصادي اصطلاح عليه بالاقتصاد الاجتماعي والتضامني، كشكل اقتصادي قائم بذاته وكنمط خاص للملكية وسائل الإنتاج، الذي صمد بفضل التزامه الصارم بمبادئه الأساسية الكونية، وبفضل إضافته النوعية في المجال التنموي على مستوى الإنتاج والتوزيع والاستهلاك كما في مجالي الحكومة والتمويل، فأصبح يكمل أدوار كل من الدولة والسوق، ويسعى إلى المساهمة في معالجة وتصحيح الاختلالات المترتبة عن الممارسات الخاطئة للقطاعين العام والخاص، ويسعى أيضا إلى مراجعة القيم الاقتصادية للنظام الاقتصادي، من خلال وضع الإنسان أولوية للسياسات الاقتصادية والاجتماعية، بإرساء دعامة اقتصادية بديلة تعالج الخلل الاجتماعي المترتب عن الممارسات الخاطئة، وتؤسس لمفاهيم العدالة والمساواة.

لقد تميز هذا السياق التاريخي لبروز الأشكال التضامنية بالعالمية، أما فيما يخص المجتمعات العربية، فنجد بأن التجارة كان لها الأثر الحاسم في تعزيز وتقوية الطابع الحضاري المتميز للمجتمع العربي، من خلال الاطلاع على الثقافات الأخرى وأنماط العيش لمختلف المجتمعات، ونقل الفكر اليوناني والغربي، كما رأينا في تاريخ انتقال الفلسفة إلى الدول الإسلامية من خلال الترجمة، على يد الفلاسفة العرب أمثال الكندي.

إن عاملي التجارة والانفتاح على الثقافات والفكر الآخر شكّلا أساسا مهما في توجيه المجتمع العربي، وفي تحقيق تجانسه الحضاري وانتظامه، من خلال إيديولوجية سمّتها الثقافة المشتركة، فالمجتمعات العربية، عبارة عن مجتمع بطريكي أبوي، تسود فيه قيم الامتثال والطاعة وسيطرة الأب في العائلة" فالأب هو المحور الذي تنتظم حوله العائلة، بشكلها الطبيعي والوطني، إذن فالعلاقة بين الأب وأبناءه وبين الحاكم والمحكوم، هي علاقة هرمية، فإرادة الأب في كل من الإطارين هي الإرادة المطلقة، ويتم التعبير عنها في العائلة والمجتمع بنوع من الإجماع القسري الصامت، المبني على الطاعة والقمع"⁽²⁰⁾. حسب هذا المفهوم يكون "المجتمع العربي بمجمله مجتمعا بطريكي يتميز بنمط خاص من التنظيم الاجتماعي الاقتصادي، سابق للرأسمالية، ذي نمط معين من التفكير سابق للحدثاة"⁽²¹⁾.

إلى جانب عامل التجارة والانفتاح على ثقافة الآخر، وكذا سمة المجتمع العربي البطريكي كعوامل أدت إلى ظهور الأشكال التضامنية في المجتمعات العربية أمكننا الحديث عن عدة عوامل أخرى، يمكن تصنيفها إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية.

1.1- العوامل الداخلية: لنشأة الأشكال التضامنية والتعاونية

من خلال دراستنا للمجتمعات العربية، نجد أنها يغلب عليها الطابع التقليدي المتشيع بقيم وعادات وتقاليده ذات مرجعية إسلامية، فيظهر الدين عنصرا أساسيا في توجيه وضبط المعاملات والقواعد في المجال الاقتصادي، وعاملا مهما في مؤسسة أنظمة المؤسسات الاجتماعية، وبناء وتشكيل التنظيمات الاجتماعية، وهذا ما يوضحه عالم الاجتماع "ماكس فيبر"، حينما اعتبر أن "ظهور الرأسمالية في بقاع مهمة من أوروبا، لم يكن وليد ظروف مادية فقط، بل نتيجة لظروف دينية وروحانية كذلك"⁽²²⁾. على هذا الأساس، فالدين له دور طلائعي في التغير الاجتماعي وفي الدور البنائي للنظم والمؤسسات من جهة أولى، والوعي الاجتماعي من جهة ثانية، مما يضمن ويحقق الاندماج الاجتماعي، كما نجده أيضا يمثل رمزا من رموز المجتمع، وهو الضامن لوحده والمعبر عن عصبية. تكمن وظيفة الدين الأساسية، في تعزيز وحدة المجتمع وعصبية، وإعطاء الشرعية للقيم السائدة ومعاييرها بإضفاء القداسة عليها، فنجد

(20) هشام شرابي: البنية البطريركية، بحث في المجتمع العربي المعاصر، سلسلة السياسة والمجتمع، دار الطليعة 1985، شتنبير. ص. 20.

(21) حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 1985، ص. 24.

(22) ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة: محمد علي مقلّد، مركز الإنماء القومي، مراجعة: جورج أبي صالح، بيروت، لبنان، دون ذكر رقم الطبعة أو تاريخها، ص. 77

الناس يجتمعون معا في هوية موحدة من خلال ممارستهم لتلك الشعائر والطقوس الدينية، والعادات والتقاليد، المميّزة لكل مجتمع، اذ نجد أن "الدين وقيمه النبيلة تحثّ على التمسك بالعواطف الدينية في حالتها المثالية، وهي عواطف إثارية بالأساس" (23).

إلى جانب الرافض الديني كعامل داخلي، له أثر في نشأة الأشكال التضامنية في المجتمعات العربية، هناك رافد آخر تمثل في العلاقات التضامنية التقليدية التي تتميز بها المجتمعات العربية عامة والمغرب خاصة، وترجع هذه النزعة التضامنية، إلى الطبيعة الإنسانية التي ترنو إلى الخير وحب التعاون، ومساعدة الآخرين، وزرع قيم الحب والتعايش والتضامن، هذا ما أكدّه الخبير في الخدمات الاجتماعية "د.ك. أوين" قائلا: "لقد أدرك الفقراء أنفسهم من قديم الزمان، قيمة التعاون الاختياري والتضامن المشترك، ضد أخطار سوء الصحة، وعجز الشيخوخة والترمل والموت المبكر" (24).

من كل ما سبق يمكن القول إن المجتمعات الأولية كانت تعرف أنماطا وأشكالا وممارسات العمل التطوعي، التي كانت بمثابة أفكار في خزان وعي البشر، مما شكل حافزا لهم في استثارة حافزتهم في اتجاه العمل التطوعي، كميّزة أساس للجماعة البشرية، المبني على أساس العلاقات التضامنية القائمة بفعل المعتقدات المشتركة لأفراد المجتمع الواحد.

2.2- العوامل الخارجية: لنشأة الأشكال التضامنية والتعاونية.

إن البحث في الظروف الخارجية، التي ساعدت على ظهور هذه الاشكال، يدعونا إلى معرفة زمن قيام الجمعيات والتعاونيات باعتبارها مؤسسات قائمة بذاتها، التي كان ظهورها متزامنا مع وجود الجاليات الأجنبية بالبلدان العربية، وتضخم أعدادها، مما أدى إلى زيادة الأدوار والأعمال التي تقوم بها، فنتج عنه التأثير المباشر في الساحة الغربية، من خلال توجيه سياسات دولها والتحكم في نوع العلاقة بينها وبين البلاد العربية، هذا بفضل القوة التي شكلوا من خلال تكتلهم على شكل تعاونيات وجمعيات، وهو الامر الذي حدث فعليا مع أوائل القرن التاسع عشر بخصوص ظروف وسياق نشأة الجمعيات والتعاونيات في بلاد مصر.

(23) - على ليلة: دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الطبعة الأولى، 2002. ص. 56.

(24) حسن السعّاتي: الحركات التعاونية، نشأتها وفلسفتها وتطبيقاتها، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1970، ص.

الى جانب هذا نجد " البعثات التبشيرية لعبت دورا أساسيا في استتباب العمل التطوعي في قارتي إفريقيا وآسيا، وفي تأسيس كثير من المنظمات غير الحكومية، ولا يمكن القول بأن هذه البعثات كانت خيرا خالصا، أو شرا كاملا، ولكنها قد حاولت أن تجمع بين رسالتها لنشر الدين المسيحي بين المواطنين، وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية"⁽²⁵⁾، إذ نجد طلائع البعثات التبشيرية، ووصولها إلى البلدان العربية مع بداية 1815، وقيامها بالأعمال التطوعية، والتوسع في الأدوار التي تقوم بها، بل أصبحت هي المسيطرة على كل التنظيمات الاجتماعية، مما جعلها تحظى بعدة امتيازات، وبمكانة داخل المجتمعات العربية، بفعل الأعمال والأدوار التي تقوم بها، والتي لم يكن قصدها هو خدمة الأفراد وتحقيق حاجياتهم، بل كانت لها أدوار وأهداف غير معلنة.

لقد تجلت أعمال البعثات التبشيرية في نشر الدين المسيحي والكتاب المقدس وخدمة بلدانهم، من خلال التقارير حول البنيات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، بهدف تسهيل الحملات العسكرية على البلدان العربية كحملة نابليون على مصر سنة (1798-1801)، لأنه لا يمكن لنا أن تخيل هذه الحملة العسكرية، متمثلة في ما هو عسكري فقط، بل جاءت بمبشرين ومفكرين ودارسين وبعثات علمية، فانتقلت في دراستها للاستشراق من دراسة الإسلام الميت إلى دراسة الإسلام الحي، فأصبحت تدون وتسجل خصائصهم الثقافية التاريخية واللغوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فدرست أحوال الناس اليومية انطلاقا من منهجية الملاحظة المباشرة، وانطلاقا من الاحتكاك اليومي الفعلي والمباشر مع السكان، وأوساطهم الطبيعية، ومع أوضاعهم ولغتهم.

لقد أدركت المجتمعات العربية حجم الخطر الذي يهددها، بفعل هذه البعثات التبشيرية، فلجأت إلى إنشاء جمعيات أهلية وتعاونيات غايتها الحد من مساعي واهداف البعثات التبشيرية، التي تمكنت القوى الإمبريالية والاستعمارية من زرعها في البلدان العربية، قصد فرض واقع احتلالها، غير أن السلطات الاستعمارية في مرحلة الاستعمار لم تقف مكتوفة الأيدي امامردة فعل المجتمعات التي استهدفتها الحملات التبشيرية، بل توجهت إلى إنشاء وتكوين الجمعيات والمؤسسات الخيرية، في مواجهة نشاطات الجمعيات الوطنية التي كانت تتمتع بحس وطني نضالي من أجل إجلاء المستعمر.

في هذا السياق عمل الاستعمار على تفكيك البنيات التقليدية لهذه المجتمعات (قبلية دينية. وسياسية) التي هددت الكيان الاستعماري، مع إعادة هيكلتها وبنائها وفق ما يخدم مصالحه بترويض

(25) على ليلة دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الطبعة الأولى، 2002، ص. 63.

العديد منها وجعله في خدمته، مما أدى إلى ظهور ظواهر جديدة في المجتمع المستعمر، كالظاهرة القايديّة* بالمغرب، التي نجدها "شكلت بنية اجتماعية أفرزها المجتمع المغربي في فترات معينة من تطوره، إذ إعتد في المجال القروي على شبكة من القواد لضبط تنظيمه الإداري، وقد شكل هؤلاء القواد حلقة أساسية في إدارة المجال المغربي، الشيء الذي زاد من حجمهم ووزنهم السياسي والاجتماعي، وجعلهم يكونون بنية اجتماعية وسياسية متجانسة الأبعاد" (26)

من خلال ما سبق يمكن القول إن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، الخاصة بالمجتمعات العربية وما شهدته من تغيرات وأزمات في هذه المجالات، نتج عنه ظهور أشكال تضامنية أساسها الاقتصاد المبني على مبدأي التضامن والتعاون.

3.2- خصائص الاشكال التضامنية بالمدينة:

إن الحديث عن أنماط وطبيعة الاشكال التضامنية في المدينة ينطلق أساسا من وضعية الأفراد فيها، فهم على شكل جماعات يخضعون إلى نظم وقوانين، وتجمعهم علاقات وقيم مشتركة، ويميلون إلى الانضمام في تنظيمات اجتماعية رسمية مختلفة، تتألف هذه التنظيمات التي تشكل في مجملها الأشكال التضامنية في قالبها الحضري المحلي وفق الأنماط المعيشية الناجمة عن التفاعل اليومي، والتي تشكل النمط العام للتنظيم الاجتماعي، وهو ما يغفله الكثير من الباحثين في تحديدهم أو تعريفهم المكاني للمجتمع.

إننا ما نود قوله قد نبه اليه الباحث "أموس هاولي" عندما رأى "أن التحديد المكاني للمجتمع باعتباره منطقة جغرافية أو مساحة مكانية يشغلها مجموعات من الأفراد، محاولة تعسفية في حق الصياغة المفاهيمية العامة للمصطلح، وإنه من الملائم أن نشير في تعريفه إلى المشاركة في الإيقاع اليومي والمنتظم للحياة الجمعية على أنها عامل أساسي يميز المجتمع المحلي، ويعطي لسكانه طابع الوحدة التنظيمية" (27)، هذا الأمر نجد له صدى في الأشكال التضامنية بالمدينة، التي تتسم بالتنظيم المحكم

* تعتبر الظاهرة القايديّة بنية اجتماعية أفرزها المجتمع المغربي في فترات معينة من استعمار وتطوره، إذ اعتمد الاستعمار في المجال القروي على شبكة من القواد لضبط تنظيمه الإداري، وقد شكل هؤلاء القواد حلقة أساسية في إدارة المجال المغربي الشيء الذي زاد من حجمهم ووزنهم السياسي والاجتماعي وجعلهم يكونون بنية اجتماعية وسياسية متجانسة الأبعاد ينظر كتاب "فردريك وايسجربر - على عتبة المغرب الحديث (26) المصطفى عيشان، "مياه الري بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أو إعداد التراب الوطني ودرس التاريخ"، مجلة أمل، عدد 24، 2001، ص.69.

(27) Maris Robert, la société urbaine (phénomène sociologique), Paris 2002, p52

والتعاقد بين أفرادها، كما نجدها تتميز بالتقسيم الوظيفي على عكس القرية، لكن رغم هذا الاختلاف فهي لا تختزل البعد الاجتماعي لأهدافها، حتى وإن وجدت بقالب حضري ضمن كيان اجتماعي.

إلى جانب "أموس هاوولي" يعتبر "لويس ويرث" أول من تناول قضية المدينة بشكل مباشر بوصفها كيانا اجتماعيا، وذلك من خلال مقولته المشهورة "التحضر ما هو إلا أسلوب للحياة"، هدفه في ذلك التأكيد على وجود الركيزة الأساس في الحضرية كنمط عيش، والمتمثلة في البعد الاجتماعي باعتباره من المقومات المهمة في وجودها، فبالإضافة إلى هذا البعد نجد سيادة العلاقات التعاقدية الفرعية في الأشكال التضامنية، وهو ما إتفق عليه ثلة من علماء الاجتماع أمثال تونيز وفير وجورج زميل ودوركايم، الذين اعتبروا المجتمع الحضري يتميز بخصائص أهمها:

- ✓ "سيادة العلاقات التعاقدية الفرعية .
- ✓ انتشار الانقسامية والرسمية (سيطرة الاختلافات الفردية)
- ✓ سيادة القيم النفعية.
- ✓ الانقسام إلى وحدات اجتماعية تنظيمية فرعية (تقسيم العمل والتخصص الوظيفي).
- ✓ العقلانية والرشد.
- ✓ انتشار التمايز والتفاوت الطبقي.
- ✓ الحراك التجاري والصناعي والابتعاد عن النشاط الزراعي" (28)

كذلك يرى فيبر "أن المدينة هي مكان إقامة يعيش السكان فيها أساسا على التبادل والتجارة، أكثر مما يعيشون على الزراعة، ويرى أن السوق المحلية تشكل جزءا أساسيا من حياة الناس اليومية" (29)، حيث يلجأ الأفراد في حياتهم اليومية إلى البحث عن تحقيق حاجياتهم، الأمر الذي يخلق تفاعلا فيما بينهم، قصد القيام بالأدوار الاجتماعية الموكلة لهم، لكن في غالب الأحيان نجد الكثير من الأفراد لا يستطيعون تلبية حاجياتهم اليومية، مما يفرض عليهم اللجوء للتعاون والتضامن داخل المجتمع الواحد، فيصبح هذا النوع من التضامن الاجتماعي، مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ونمطا من أنماط السلوك، وهو ظاهرة اجتماعية تعكس التأثير المتبادل للأفراد في أداء عمل معين.

(28) هادفي سمية مرجع سابق، ص، 174

(29) Raulin, A, Anthropologie urbaine, Paris press, 2002, p 68

أما "اميل دوركايم" E. Durkheim فيعتبر التضامن أساس المجتمع، فلن يوجد مجتمع من دون أن تتماسك أجزائه وتلتحم، ولا تقوم للوجود الاجتماعي قائمة دون أن يسبقه أي شكل من أشكال التضامن بين الأفراد، "فالأفراد ينظمون نشاطهم وسلوكهم وقيامهم بأدوارهم طبقا لقواعد مرسومة حسب قيم معينة متعارف بها، فهم يستطيعون التواصل أو توقع أحداث بشكل يمكنهم من العيش في نظام واتساق مع سلوك وتوقعات الآخرين (...)"، هذا المعنى يتضمن وجود نوع من التماسك إلى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض أو الصراع"⁽³⁰⁾.

نستخلص من هذا بأن ظاهرة التضامن بالمجتمعات الحضرية هي عبارة عن علاقة تفاعلية تبادلية بين أفراد المجتمع الواحد، يكون هدفها تحقيق المنفعة والمصلحة للجميع، وتقوم هذه العلاقة على الجهد المشترك على المستويين المادي والمعنوي، وتقسيم الأدوار حتى يتحقق النجاح المنشود، فكل من التضامن والألفة الاجتماعية تؤكد إنتماء الأفراد للجماعة، وكذلك تحدد وضعياتهم داخل الجماعة.

4.2 - خصائص الاشكال التضامنية بالقرية:

كانت الأشكال التضامنية العفوية بالأمس القريب محور كل الرهانات ومفتاح كل الديناميات في النسق القروي محليا، في إطار التعاون بين أعضاء القرية أو القبيلة لتلبية حاجياتهم، وفق مبادئ وقوانين وقيم ثقافية ونظم اجتماعية واقتصادية، تتبناها القرية و تظهر في سلوكيات أفرادها، معبرة عن ثقافة هذه المجتمعات التي هي مجموع العادات والتقاليد والأعراف والقوانين والنظم المتعارف عليها التي يخضع لها الجميع، لأنها تؤدي وظائف وتلبي حاجات ضرورية للكائن البشري، وتحافظ على البناء الاجتماعي وتماسكه لأطول فترة زمنية ممكنة، ومع مرور الزمن تتحول هذه الممارسات ذات الطابع الثقافي إلى موروث تتناقله الأجيال، التي تجسد قيم التعاون والتضامن بين أفرادها، وكألية للمحافظة على تماسك الجماعة وأفرادها، بغية تحقيق وترسيخ عملية البناء الاجتماعي.

إن الأشكال التضامنية بالقرية تتميز بعفويتها وببساطة التنظيم وتقسيم الأدوار بين أفرادها بشكل عفوي، يحقق أهدافه وغاياته التضامنية داخل المجتمع القروي، عن طريق اندماج بين مجموعة من الأفراد نتيجة مجموعة من الروابط الموجودة بينها، ففي "المجتمعات البسيطة يقوم التضامن على أساس القيم المشتركة والقرابة السائدة بين الأفراد، أو كما يسميه "إميل دوركايم" بالتضامن الميكانيكي

(30) دوركايم في تقسيم العمل الاجتماعي، المطابع الفرنسية، 1976، ص. 99

"(31) الذي يعتبر تقسيم العمل حقيقة اجتماعية مادية تؤثر على المحددات المرتبطة بالتخصصات والمسؤوليات.

ففي المجتمعات البسيطة، يؤدي الناس الكثير من المهام المختلفة ويتحملون عددا كبيرا من المسؤوليات، على عكس المجتمعات الحديثة التي يحتل الأفراد فيها مواقع أكثر تخصصا، ويتحركون في نطاق ضيق من المهام والمسؤوليات إذ نجد "تقسيم العمل بالمجتمعات القروية قائما على نوع من التلاحم الاجتماعي بين أفراد الجماعة، ونتاجا لنوع من تطابق كل الضمائر الفردية لنمط مشترك ممثل في النمط النفسي للمجتمع المعني"(32)

لهذا وجدنا التضامن القائم في القرية يعتمد على أسس ثقافية واجتماعية ودينية وعلاقات قريابه، في قالب عفوي تطبعه البساطة والوضوح، على عكس التضامن بالمدينة الذي يتميز بطابع مؤسساتي، "فهو الوسيلة التي تستخدمها المؤسسات لبلوغ أهدافها وتحقيق مخططاتها من خلال غرسه في أذهان موظفيها وعمالها، بل وظيفته دول مؤسسة التعاون الإسلامي، ودول الاتحاد الأوربي لبلوغ أهداف سياسية واقتصادية مشتركة"(33) تنمي فيها الانتماءات القبلية والعقائدية واللغوية، مما جعل أهداف التضامن تنتقل من تحقيق المنفعة الخاصة بأفراد القرية في دائرة ضيقة، إلى أهداف تخدم الإنسانية جمعاء، فالشخص الذي يمتلك ثقافة التضامن هو الشخص الراقى المتحضر، الذي يعلم أن له رسالة وهدفا فهو المنتهي للإنسانية.

خاتمة:

لقد كان الغرض من كل هذا الحديث حول الأشكال التضامنية، هو توضيح سيرورة الانتقال من الأشكال العفوية التضامنية التي كانت سائدة بالقرية إلى بروزها في شكل تنظيمات مهنية بالمجتمعات الحضرية تتسم بالتعقيد والتنظيم المقنن بقوانين ونصوص على عكس الأشكال التضامنية العفوية التي سمتها الأساسية البساطة والوضوح، والتي تعبر بشكل من الأشكال عن نوع من التحضر، وفق أنساق ثقافية تعبر عن روح الجماعة من منطلق بنيوي وظيفي، فبالرغم من التحول الذي لحقها نجدها لازالت

(31) Coordonné, P., Cabina, P., & Dortier, J. F. (2000). La sociologie Histoire ET Idées. France : Editions Sciences Humaines.p.49

(32) Gurvitch, G. (1968). La vocation actuelle de la sociologie (éd. 4ème édition). France : PUF.p.21

(33) خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري، التوزيع والتوزيع - أنموذجا، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 08، عدد 01، سنة 2022، ص، 101

تحتفظ في جوهرها بالقيم والرواسب الثقافية الخاصة بالأفراد والمجتمع الواحد، وهو ما يدفعنا لطرح سؤال محوري: هل يمكن اعتبار طبيعة المنتج وطبيعة المجتمع عاملاً أساسياً يفرض على الأشخاص الاشتغال في تضامن وتعاون؟

ببيلوغرافيا

- إسماعيل قيره، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، منشورات جامعة منثوري قسنطينة، 2004.
- أنتونيو غدنز، علم الاجتماع، الطبعة الرابعة ترجمة الدكتور فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، فصل المدن والفضاءات الحضرية ص.600
- البستاني فؤاد افرام وآخرون، منجد الطلاب، دار الشروق، بيروت ط22، 1978.
- حسن السعاتي: الحركات التعاونية، نشأتها وفلسفتها وتطبيقاتها، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1970.
- حلیم بركات: المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2009.
- خالد خواني، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري، التوزيع والوزيعة – أنموذجا، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 08، عدد 01، سنة 2022.
- دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، المطابع الجامعية الفرنسية، 1967.
- السيد الحسيني، المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، 2000.
- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات. دار المعرفة الجامعية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 1997.
- عبد الرحمان المالكي " مدرة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة" الناشر إفريقيا الشرق المغرب، سنة 2016.

- على ليلة دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، الطبعة الأولى، 2002.
- عمر الز عفوري، الحركات الاجتماعية الحضرية في المجتمعات التابعة، مجلة عالم الفكر، العدد 1. المجلد 38 يوليو - سبتمبر 2009
- لحسن محسين خوخو: في موقف علم الاجتماع من التدين، مجلة فكر ونقد، ملف العدد "الدين والمجتمع"، العدد 51، شتنبر 2003.
- لمزواد صباح، دور القطاع الخاص في إنشاء المدن الجديدة، دراسة ميدانية في المدينة الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، بدون تاريخ. ص: 40
- ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة: محمد علي مقلد، مركز الإنماء القومي، مراجعة: جورج أبي صالح، بيروت، لبنان
- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 2009
- محمد عباس إبراهيم "التنمية والعشوائيات الحضرية"، دار المعرفة الجامعية (اتجاهات نظرية وبحوثية تطبيقية)، الناشر دار المعرفة الجامعية سنة 2000
- المصطفى عيشان: "مياه الري بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أو إعداد التراب الوطني ودرس التاريخ"، مجلة أمل، عدد 24، 2001.
- هادي سمية، سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 17، دسنب 2017.
- هشام شرابي: البنية البطيركية، بحث في المجتمع العربي المعاصر، سلسلة السياسة والمجتمع، دار الطليعة 1985

- Coordonné, P., Cabina, P., & Dortier, J. F. La sociologie Histoire et Idées. France Editions Sciences Humaines (2000)

- Gurvitch, G. (1968). La vocation actuelle de la sociologie (éd. 4ème édition). France : PUF.
- Louis Wirth, Le phénomène urbain comme mode de vie, L'Ecole de Chicago,
- Maris Robert, la société urbaine (phénomène sociologique), paris 2002
- Nicholas, timasheff.s, sociology theory: its nature and growth, randm hanse,) new. York, 3 Edition, 1967).
- Raulin, A, Anthropologie urbaine, paris press, 2002
- Robert E. Park and Others (1992), The City, The university of chigago press, chigago and London
- <http://www.esperdy.net/wp-content/uploads/2009/09/Park-The-City.pdf>
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97137>
- <http://www.paris-valdeseine.archi.fr/extranet/file/11/bulle/urbain.pdf>
- Max Weber, La Ville, trad, franc, Aurélien Berlan, Paris, la Découverte, 2014